الخطابة الدينية وأثرها
في الدعوة الإسلامية

بقلم

دكتور عبد القادر سيد عبد الرؤوف

الأستاذ المساعد بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية
بالكلية

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين خلق الإنسان علمه البيان وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له كرم الإنسان بالعقل وميزه بالمنطق وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله أفصح العرب لسانا وأبينهم منطقا وأوضحهم خطابا اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبع طريقه واستن بسنته إلى يوم الدين .

وبعد :

فإن الخطابة الدينية ذات تأثير نفسى وتوجيه اجتماعى أصيل وذلك لما لها من منزلة كبيرة ومكانة عظيمة فى النفوس حيث أنها تهز أوتار القلوب وتملك مفاتيح العقول .

وتعتبر الخطابة الدينية أبرز وسيلة وأقوى طريقة فى ميدان التبليغ ونشر الدعوة الإسلامية لما تحدثه من تأثير قوى ولما تحققه من نتائج طيبة بين أفراد المجتمع .

وقد صدع الرسول ﷺ بالحق بعد أمر الله تعالى له بالتبليغ ووقف أمام الناس خطيباً على جبل الصفا يبشرهم وينذرهم قائلا لهم : « إنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد » .

وظلت الخطابة الدينية من أهم وسائل الدعوة إلى الله عز وجل فى صدر الإسلام فوجدنا الخطابة الدينية تؤدى دورها على خير ما يكون فكانت خير وسيلة لنشر الدعوة الإسلامية .

وفى العصر الحديث نلمس دور الخطابة الدينية واضحاً حين تلم بالناس الملمات وتكثر الفتن والإنحرافات فلا يجد الناس ملاذاً إلا خطباء المساجد وأئمتهم يهرعون إليهم ويلجأون .

ومن هنا تظهر أهمية الخطابة الدينية والعناية بها قديما وحديثا لما لها من أثر طيب وتأثير بليغ فى حياة الناس .

وهذا البحث « الخطابة الدينية وأثرها فى الدعوة الإسلامية » يبين ما الخطابة الدينية من أهمية بالغة فى حياة المجتمع والله أسأل أن يبارك هذا الجهد وأن يحقق به ما أردت من نفع وخير والله الهادى إلى سواء السبيل .

التعريف بالخطابة الدينية

تعريفها فى اللغة :

يقول صاحب مختار الصحاح : خاطبه بالكلام مخاطبة وخطاباً ، وخطب على المنبر خطبة بضم الخاء وخطابة ، وخطب المرأة فى النكاح خطبة بكسر الخاء يخطب بضم الطاء فيهما ، وخطب من باب ظرف : صار خطيباً[١] وخاطبه مخاطبة وخطاباً وهو الكلام بين متكلم وسامع ومنه اشتقاق ، الخطبة بضم الخاء وكسرها ، فيقال فى الموعظة : خطب اليوم خطبة بضم الخاء فهو خطيب والجمع الخطب وخطب المرأه من القوم إذا طلب أن يتزوج منهم ، والاسم الخطبة بكسر الخاء فهو خاطب ، وعلى هذا فيقال من الخطبة بالضم خاطب وخطيب ومن الخطبة بالكسر خاطب فقط[٢] .

وجاء فى لسان العرب : خطبت على المنبر خطبة ، بالضم ، وخطبت المرأة خطبة بالكسر[٣] .

وجاء فى أساس البلاغه : خاطبه أحسن الخطاب وهو المواجهة بالكلام وخطب الخطيب خطبة حسنة ، وخطب الخاطب خطبة جميلة[٤]

ولو نظرنا إلى كلمة خطب نجد أن معناها يدور حول :

---

(١) مختار الصحاح للرازى مادة خطب

(٢) المصباح المنير للرافعى ، المفردات فى غريب القرآن للاصفهانى مادة خطب أيضا

(٣) لسان العرب لابن منظور مادة خطب

(٤) أساس البلاغة للعلامة الزمخشرى مادة خطب

١ — الرغبة فى الزواج .

٢ — ملكة البيان وفصاحة اللسان .

والذى يهمنا فى هذا المقام من المعنيين السابقين هو المعنى الثانى حيث إنه موضوع بحثنا وقد عبر عنه الشيخ على محفوظ بعبارة قوية موجزة حيث قال : الخطابة فى اللغة : توجيه الكلام نحو الغير للإفهام[1] .

الخطابة فى مفهوم الاصطلاح :

يعرفها الشيخ على محفوظ بقوله : أنها ملكة الاقتدار على الاقناع واستمالة القلوب ، وحمل الغير على ما يراد منه[2]

ويعرفها الشيخ محمد أبو زهرة بقوله : أن الخطابة صفة راسخة فى نفس المتكلم يقتدر بها على التصرف فى فنون القول ، لمحاولة التأثير فى نفوس المستمعين ، وحملهم على ما يراد منهم بترغيبهم وإقناعهم[3] ويعرفها ثالث بقوله : فن مشافهة الجمهور وإقناعه واستمالته[3] .

ويعرفها رابع بقوله : علم يقتدر بتطبيق قواعده على مشافهة المستمعين بفنون القول المختلفة لمحاولة التأثير فى نفوسهم وحملهم على ما يراد منهم بترغيبهم واقناعهم[4]

ويعرفها خامس بقوله : فن مخاطبة الجماهير بطريقة إلقائية ، تشتمل على الإقناع والاستمالة[5]

(١) فن الخطابة ص ١٤ (٢) الخطابة ص ١٩
(٣) فن الخطابة د/ حمد الحوفى ص٩
(٤) علم الخطابة د/ احمد غلوش ص٩
(٥) الخطابة فى موكب الدعوة د/ محمود عمارة ص٩

من خلال هذه التعريفات السابقة نستطيع أن نقول :

إن الخطبة لا تخرج عن الأمور الآتية : —

١ — فهى عبارة عن نقل الأفكار من الخطيب إلى جمهور المستمعين .

٢ — إقناع المستمعين منطقياً بطريقة التعبير الجيد بهذه الأفكار.

٣ — جذب قلوب المستمعين وميلها إلى هذه الأفكار ليعملوا بمقتضاها فالخطابة مرماها التأثير فى نفس السامع ومخاطبة وجدانه وإثارة إحساسه للأمر الذى يراد منه ، ليذعن للحكم ، إذعانا ويسلم به تسليما[1] .

وهذا كله يستدعى من الخطيب أن يكون عنده المقدرة على الكلام، وهذا لا يكون إلا بالتحضير والإبتكار المبنى على التفكير السليم والتنسيق المبنى على الترتيب والتعبير على توضيح الأفكار لسامعيه .

أهمية الخطابة والغاية منها :

للخطابة أهمية كبيرة وغاية ذات شأن خطير ، وهى إرشاد الناس إلى الحقائق وحملهم على ما ينفعهم فى الدنيا والآخرة ، والخطابة معدودة من وسائل السيادة والزعامة ، وكانوا يعدونها شرطاً للإمارة ، فهى تكمل الإنسان وترفعه إلى ذرى المجد والشرف حيث أن الخطيب يرشد السامع إلى ما يحتاج إليه من أمور دينه ودنياه ، ويقيم له مراسيم لتقويم عيشه ، والإستعداد إلى ميعاده، وحسبها شرفاً إنها وظيفة قادة الأمم من الأنبياء.

(١) الخطابة للشيخ محمد أبو زهرة ١٩

والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، ومن على شاكلتهم من العلماء العاملين ، وعظماء الملوك وكبار الساسة وفوائدها عظيمة ، فهي التي تعرف صاحبها كيف يملك القلوب ، ويستميل النفوس ، ويحرك العواطف ، ويهيج الخواطر نحو ما يريد وهي التي ترفع الحق وتخفض الباطل ، وتقيم العدل ، وترد المظالم ، وهي التي تهدي الضال إلى سواء السبيل وتفض النزاع وتقطع الخصومات بين المتخاصمين(١) .

ومن هنا تظهر أهمية الخطبة ومكانتها في الإسلام فهي تدور في فلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله عز وجل بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن ، كما أنها تبغي السعادة للمدعوين في الدنيا والآخرة بهدايتهم إلى طريق الله المستقيم ، كما أنها تتعلق بأشرف أجزاء الإنسان روحه ونفسه وعقله وضميره فغاية الخطابة : صلاح المعاش والمعاد والفوز بسعادة الدارين ، وفضلها عظيم وشرفها جسيم ، إذ هي تتعلق بطب الأرواح وعلاج النفوس ، لتصل إلى السعادة وذلك لأن الإنسان مركب من جسم وروح ، وكلاهما عرضة للأمراض والعلل فهو محتاج إلى طبيبين ومتشوف إلى علاجين ، علاج لجسمه ، وعلاج لروحه ، وأفضل الطبين ما أصلح أشرف الجزءين من هذا الإنسان(٢) .

كما أن الخطابة هي الدعامة التي قامت عليها الانقلابات العظيمة والثورات الكبيرة فقد جاء الإسلام ليدعو إلى ترك كثير من القديم وبخاصة العادة الأصنام والأوثان ويجمع الناس على عبادة إله واحد ويدلهم على مكان العبادات الإسلامية التي يجب أن تحل محل عاداتهم الجاهلية ، فكان لابد أن تفك الألسنة من عقالها ، وتندفع هذه الألسنة

(١) فن الخطابة للشيخ علي محفوظ ص ١٥ ، ١٦ بتصرف .

(٢) هداية المرشدين ص ٧٢

تنطق بعبارات ملتهبة وتوقظ القلوب الحائرة ومن هنا كان ظهور الإسلام ودعوة الرسول ﷺ إلى هذا الدين الحق كان انقلاباً سياسياً ودينياً واجتماعياً وفكرياً ليس في العرب وحدهم بل في كل العالم وهنا تظهر أهمية الخطابة وثمرتها الطيبة .

وتظهر أهمية الخطابة في مجال المنازعات وفض المشاكل والقضاء على الخصومات ، فبالخطابة يتحول المتحاربون إلى متحابين ، والمتعادون إلى متعاونين متحدين والمختلفون إلى متآلفين متعانقين .

عوامل تطورها :

من العوامل التي أدت إلى تطور الخطابة وازدهارها في الإسلام ما يلي : —

١ — ظهور رسالة النبي ﷺ ، التي أخرجت العالم من الظلمات إلى النور ومن الضلال إلى الهدى ومن الباطل إلى الحق ، فإن الدعوة إلى الدين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقمع الفتن وردع البدع ، وتحميس الجند كل ذلك من أغراض الخطابة ، وكان لها من آي القرآن الكريم معين لا ينضب ومدد لا ينفد .

والدليل على ذلك ما ذكره القرآن الكريم من أسلوب خطابي في بعض الأحيان على نمط لم يألفوه فهو يقصد إلى التأثير والإقناع معاً بطريقة أجبرتهم على أن يتتبعوا خطاه ويسيروا على منواله وقد ضرب الله عز وجل المثل لبني اسرائيل « يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون ، وآمنوا بما أنزلت مصدقاً

(١) تاريخ الأدب العربي للأستاذ أحمد حسن الزيات ص ٤٥

لما معكم ولا تكونوا أول كافر به ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلا وإياي فاتقون، ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون، وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين، إلى قوله تعالى: أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعدما عقلوه وهم يعلمون »[1].

فإذا دققنا النظر في هذه الآيات الكريمة نجد أن فيها إرشاداً إلى الأسلوب الخطابي المقتبس من هذا الكتاب السماوي الخالد ويشتمل على مقدمة للموضوع وهو حث بني إسرائيل على تذكيرهم بنعم الخالق جل في علاه، ثم عرض للموضوع وأخيراً الختام الذي يذكر أهم الحقائق التي لابد من بيانها للمدعو ونجد أن القرآن الكريم يعلمهم فن القول والتخاطب كما يتضح أيضاً في خطابه المباشر لرسوله ﷺ، فقد خاطبه في كثير من المواطن بقوله: « قل » التي ذكرت في القرآن ٣٣٢ مرة مثل قوله تعالى: « قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً »[2].

« قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم »[3] « قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين »[4] « قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول »[5]، إلى غير ذلك من الآيات الكريمة التي ذكر فيها لفظ « قل ».

---

(١) البقرة: ٤٠ — ٧٥ (٢) الأعراف: ١٥٨
(٣) يونس: ١٠٨ (٤) النمل: ٦٩
(٥) النور: ٥٤

٢ — اقتباسها من القرآن الكريم:

يقول الجاحظ: كانوا يستحسنون أن يكون في الخطب يوم الحفل وفي الكلام يوم الجمع آي من القرآن الكريم فإن ذلك مما يورث الكلام البهاء والوقار والرقة وحسن الموقع[1]، ويقول أيضاً: إن الخطبة إذا لم توشح بآيات من القرآن الكريم سميت شوهاء[2]،

وفي آثار الصحابة رضي الله عنهم الكثير من هذه الأمثلة مثال ذلك ما قاله سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه في إحدى خطبه: الحمد لله أحمده وأستعينه وأستغفره وأومن به وأتوكل عليه وأستهدي الله الهدى وأعوذ به من الضلالة والتردي، من يهده الله فهو المهتدي، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت وهو حي لا يموت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير[3].

٣ — الصراع بين الدعاة إلى الله عز وجل وبين المعاندين من الكفار والمشركين وغيرهم فكل منهم يريد أن يجذب الآخر نحوه ونحو دعوته دون طريق الإقناع والاستمالة وهذا الشيء اعتمد في حد ذاته على الخطابة، وهذا الحوار الذي دار بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين عتبة بن ربيعة يبين لنا مدى الإصرار من المعاندين في بقائهم على كفرهم بل في جذب المسلمين إلى جانبهم: فقد كلفت قريش عتبة بن ربيعة ليعرض على الرسول ﷺ أموراً لعله يقبل بعضها وينصرف عن هذه الدعوة. فقال

---

(١) البيان والتبيين ج ١ ص ١١٧
(٢) المرجع السابق ج ١ ص ٦
(٣) العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي ج ٢ ص ١٣١

عتبة بن ربيعة للرسول ﷺ : يا ابن أخى ، إنك منا حيث قد علمت من البسطة فى العشيرة والمكان فى النسب ، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم وكفرت به من مضى من آبائهم ، فاسمع منى أعرض عليك أموراً تنظر فيها ، لعلك تقبل منها بعضها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قل يا أبا الوليد أسمع ، قال : يا ابن أخى إن كنت تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذى يأتيك رئيا تراه لا تستطيع رده طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا ، حتى فرغ عتبة ورسول الله ﷺ يستمع منه قال : أقد فرغت يا أبا الوليد ؟ قال : نعم ، قال : فاسمع منى ، قال : أفعل فقال بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون ... وأخذ الرسول ﷺ يقرأ فى نفس السورة إلى أن وصل إلى قوله تعالى : « فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود » ، وهنا أحس أبو الوليد بأن صاعقة ستنزل عليه فارتعد وقال : « يا محمد أمسك عن القراءة »[1] .

٤ — التزام الرسول صلى الله عليه وسلم لمنهج الدعوة إلى الله كما جاء فى القرآن الكريم حيث يقول رب العزة سبحانه وتعالى لحبيبه ومصطفاه : « أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين »[2] .

وفى الآية الكريمة لفتتين عظيمتين :

١ — فى لفظ « وجادلهم » ولم يقل « وألزمهم » لأن الهدف من المجادلة

(١) السيرة النبوية لابن هشام

(٢) النحل : ١٢٥

هو الوصول إلى الحق والصواب ، بخلاف ألزمهم فإنه اجبار لهم وقسر وليس هذا من دعوة الإسلام .

٢ — فى لفظ « أحسن » ولم يقل « أخشن » أو (أقوى) ليتبين لنا أن الحسنى من سمات هذه الدعوة العالمية دعوة الإسلام الحنيف ، وهذه الدعوة كثيراً ما تكون عن طريق الخطبة الدينية التى يقوم بها الداعية إلى الله تعالى الموفق فى أداء رسالته ، ويكفى هذا الداعية فخراً وتيهاً ما قاله الله عز وجل فى حقه : ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إننى من المسلمين »[1] .

وبلغ من اقتداء الصحابة عليهم وضوان الله تعالى بالرسول ﷺ فى الخطبة أنهم كانوا يفتتحونها بالتحميد والتمجيد لله عز وجل ، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ ، ويطلقون على الخطبة التى لم تبدأ بذلك « البتراء » .

٥ — الأفكار الجديدة التى عمل الإسلام على بثها بين المدعوين فتقبلها هؤلاء باهتمام بالغ ، لأنها كانت تغزيهم دائماً وتأخذ بأيديهم إلى سبيل الرشاد ونضرب مثالا لذلك قول الله جل فى علاه : « أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت »[2] فهذه دعوة الله تبارك وتعالى إلى عباده للتفكر فى ملكوت الله تعالى ، والتطلع إلى هذا الكون الفسيح حتى يصل الإنسان من خلاله إلى الإيمان الصادق والحياة الصحيحة التى يجب أن يحياها الإنسان فى دنيا الناس .

٦ — مبدأ الحرية الصحيحة الذى أقره الإسلام ، ويتجلى هذا المعنى

(١) فصلت : ٣٣

(٢) الغاشية : ١٧ — ٢٠

فى أول خطبة خطبها أبو بكر الصديق رضى الله عنه عقب توليه الخلافة الإسلامية حيث قال رضى الله عنه : « أيها الناس إنى قد وليت عليكم ولست بخيركم . فإن رأيتمونى على حق فأعينونى وإن رأيتمونى على باطل فسددونى ، أطيعونى ما أطعت الله فيكم ، فإن عصيته فلا طاعة لى عليكم »[1] .

يتضح لنا من قول سيدنا أبى بكر الصديق رضى الله عنه أن الإسلام الحنيف قد ترك لأتباعه حرية النقد البناء وذلك لإصلاح المجتمع وقد سوى فى ذلك بين الحاكم والمحكوم والعظيم والحقير والسيد والعبد والغنى والفقير والقوى والضعيف وصاحب الحسب والنسب ومن لاحسب له ولا نسب مما حمل الكثير من الصحابة رضى الله عنهم وغيرهم من البشر على أن ينطقوا بكلمة الحق ، وبهذا أزدهرت الخطابة وأينعت وآتت ثمارها .

٧ — مبدأ الشورى الذى دعا إليه هذا الدين الحنيف ويتجلى هذا فى قول الله عز وجل : « وأمرهم شورى بينهم »[2] وقوله تعالى : « وشاورهم فى الأمر »[3] ومن ذلك ما قاله أبو بكر الصديق رضى الله عنه يوم السقيفة : « أيها الناس نحن المهاجرين ، أول الناس إسلاماً . وأكرمهم حسباً ، وأوسطهم داراً ، وأحسنهم وجوهاً ، وأكثر الناس ولادة فى العرب ، وأمسهم رحماً برسول الله ﷺ ، أسلمنا قبلكم ، وقدمنا فى القرآن عليكم ، فقال تبارك وتعالى : « والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين أتبعوهم بإحسان » فنحن المهاجرون وأنتم الأنصار إلى أن قال : فنحن الأمراء وأنتم الوزراء . لا تدين العرب إلا لهذا الحى من قريش ، فلا تنفسوا[4] على إخوانكم ما منحكم الله من فضله[5] .

(١) تاريخ الطبرى جـ ٣ ص ٢٠٣ (٣) الشورى : ٣٨
(٣) آل عمران : ١٥٩ (٤) نفس عليه الشىء لم يره أهلا له
(٥) عيون الأخبار جـ ٢ ص ٢٣٤

٨ — ما حدث بين المسلمين بعد مقتل سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه ، من فتنة كادت تؤدى إلى ضياع وحدتهم وإجتماع كلمتهم لولا عناية الله تعالى بعباده المؤمنين ، هذه الفتنة نشأ عنها الأحزاب والفرق المختلفة ، مما حدا بكل واحد منهم يريد أن يؤيد وجهة نظره فلم يجد سوى الخطابة وسيلة يصل من خلالها إلى غرضه الذى يريده فالخطابة على هذا الأساس وسيلة جيدة من وسائل التبليغ إلى الله تعالى وعلى الخطباء فى عصرنا الحاضر أن يكونوا على مستوى المسئولية فى خطبهم وأن يقتدوا برسول الله ﷺ تنفيذاً لأمر الله تعالى حيث قال : لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً »[1] ويقتدوا بصحابته الكرام رضى الله عنهم فى تبليغ الدعوة إلى الله تعالى إن الخطيب الذى يتطلع المستمعون إلى حسن قوله وصالح سيرته ، ينبغى له أن يكون نموذجاً مشرفاً وصورة مشرقة لما يدعو الاسلام إليه من التحلى بمكارم الأخلاق والتخلى عن الرذائل .

ومعلوم أن الخطيب لا يستطيع أن يحرز تقدما ، ولا يحقق نجاحاً إلا إذا أعد للأمر عدته ، وتزود لمهمته بخير الزاد ، الذى يعينه على تحقيق غايته وهى اقناع عقول مستمعيه وامتاع نفوسهم .

طرق تحصيل الخطابة :

من المعروف أن الخطابة منصب خطير ، ومرتقى صعب المنال ، لا يصل إليها طالبها بيسر ، بل يحتاج مبتغيها إلى زاد عظيم ، وصبر ومعاناة ، واحتمال المشاق ، ليصل إلى تلك الغاية السامية[2] ، وطرق تحصيل الخطابة ما يلى :

(١) الأحزاب : ٢١ (٢) الخطابة للشيخ أبو زهرة ص ٢٣

١ — الفطرة والاستعداد الغريزى وهذا هو الأساس ، فالخطابة ملكة فطرية ، توهب ولا تكتسب ، وتمنح فلا تباع وتشترى ، تنبع من داخل الإنسان ولا تفرض عليه من خارجه .

يقول د / أحمد الحوفى : إن الخطيب كالشاعر والموسيقى والرسام لابد أن يكون فى فطرته استعداد لهذا الفن البليغ ، ينبع من نفسه ويمده ، ونحن نعلم أن الناس متباينون فى ميولهم وفى استعدادهم ، فمنهم من لا تهزه المناظر الرائعة أو المروعة ، ومنهم من يصمت أمام هذه المناظر دهشا مذهولا ، وفيهم من تجيش بالأحاسيس ، نفسه ، فيعبر عن جيشانه بكلمات مصورة ، لما يحس ، والخطيب والشاعر والكاتب من هؤلاء الذين إذا ما ثارت عواطفهم وجدت لها متنفساً فعبروا وصوروا[1] .

ومن عناصر الموهبة القدرة على مواجهة الجمهور والتحدث إليه بغير قلق أو اضطراب وهذا لا يحدث عند كل الناس بل إن منهم ، من لا يملك هذا العنصر وقد كان أمير الشعراء أحمد شوقى يهز الدنيا بقصائده ولكنه لم يستطع أن يلقى أبياتاً من شعره فى محفل من المحافل أو جمع من الناس ، وكان يعهد بذلك إلى من عنده المقدرة والشجاعة من الخطباء المعروفين بحسن الإلقاء ، كذلك من عناصر الموهبة الخطابية الصوت المعبر الذى يملك الأسماع بحلاوة جرسه وعذب رنينه ، كذلك لابد أن تتوفر فى الخطيب القدرة على التعبير المتدفق بفصاحة ونطق سليم حتى يكون تأثيره فى الناس قوياً وسريعاً ، كذلك يجب أن يكون الخطيب مقبول الصورة خفيف الظل .

٢ — معرفة الأصول والقوانين التى وضعها الحكماء لأنها ضرورة حتى تؤتى الخطبة ثمارها المرجوة ويستفيد منها المستمع وإلا كانت مجرد كلمات

(١) فن الخطابة د / أحمد الحوفى ص ١٠

تقال لا تجدى نفعاً ولا تؤتى ثمراً ، ومن هنا وجب على من وهبه الله تعالى ملكة الخطابة ، أن يقوم بدراسة علم الخطابة ، ليقف من خلال دراسته على ما يتعلق بالخطابة من تعريفها وفائدتها ومراحل تاريخها وعلاقتها بالعلوم الأخرى ، وليقف أيضاً على ما يتعلق بالخطبة من كيفية أعدادها وأدائها ، وعوامل نجاحها وبيان أنواعها وأقسامها ، وليقف أيضا على ما يتعلق بالخطيب من أهمية ومكانة وآداب وصفات ، وحقوق وواجبات ، ثم يقف على ما يتعلق بالمخاطبين من أقسام وأحوال واتجاهات ، فالإحاطة بمثل هذه المسائل من خلال دراسة علم الخطابة تجعل الخطيب يدعو إلى الله تعالى على بصيرة وبينة ، ومن هنا تكون دعوته أفضل وأتم .

٣ — الإكثار من مطالعة أساليب البلغاء وخطب الخطباء ودراستها دراسة يتعرف من خلالها على نواحى التأثير وجهات الإقناع فيها ويتذوق ما فيها من متانة الأسلوب وحسن العبارة وجودة التفكير .

٤ — الإطلاع على كثير من العلوم التى تتصل بالجماعات ، كالاقتصاد والشرع ، والأخلاق ، والاجتماع ، وعلم النفس ، والأديان ، فإن الاطلاع على هذه العلوم فوق أنه ينمى فكره ، ويوسع مداركه ، يجعله على بصيرة فى مهمته ، ويضع أمامه المصباح الذى يهديه إلى طرق التأثير ، فيصيب غايته ، وينال غرضه[1] .

٥ — التدريب والتمرين والممارسة العملية وذلك لأن الخطابة ملكة نفسية لا توجد دفعة واحدة ، بل لابد لطالبها من الممارسة والمران كى تنمو مواهبه إن الخطيب الجيد ، لاغنى له عن المران والممارسة حتى لو ملك

(١) الخطابة للشيخ محمد أبو زهرة ص ٢٤ ، فن الخطابة للشيخ على محفوظ ص ١٧

موهبة الخطابة ، ودرس أصولها ، وألم ببقية عوامل تحصيلها فالموهبة وحدها لاتكفى ، ومن ثم فهى فى حاجة ماسة إلى ما يصقلها وينميها ، فالخطيب بالتدريب والمران المستمر يمكنه أن يتغلب على كثير من عيوبه إنه فى هذا يشبه الممثل الموهوب الذى يلتحق بمعهد التمثيل ليدرس أصول الفن وقواعد الإلقاء ويتدرب على التمثيل تدريبا عمليا .

وقد رأينا فى التاريخ المعاصر زعماء وقواد أصبحوا خطباء مهرة بفضل التدريب والمران حيث فرضت عليهم مناصبهم ومراكزهم القيادية أن يوجهوا الجماهير وأن يكونوا خطباء فيهم[1] .

مراحل إعداد الخطبة وتكوينها :

لاعداد الخطبة وتكوينها لابد أن تمر بهذه المراحل الآتية وهى :

١ — مرحلة اختيار الموضوع :

وهذه المرحلة هى الأساس لبناء الخطبة وأهمها ، فلو طلب من إنسان إلقاء خطبة من الخطب فعليه أولا أن ينظر إلى من سيتكلم إليهم ومن يخاطبهم وفى أى موضوع من الموضوعات تكون خطبته وفى أى مناسبة من المناسبات ومن هنا فإن مرحلة أختيار الموضوع لابد أن يراعى فيها الآتى :

(ا) عقلية المخاطبين : وتنوع تلك العقليات حتى يستطيع الخطيب أن يلون دعوته لمخاطبيه والناس قد خلقوا وجبلوا على ثلاثة أقسام :

علماء أصحاب عقول صحيحة وبصائر ثابتة .

عوام الناس الذين يملكون نفوساً كدرة ولم يبلغوا حد الكمال .

(١) المرجع السابق ص ٢٥

أصحاب جدل وخصام ومعاندة وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الفئات الثلاث بقول الله تعالى : « أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن[1] » .

فالبشر بالنسبة لكمال الطبع طرفان ووواسطة ، فالطائفة الأولى التى تتجه إليها الحكمة هى طرف الكمال والطائفة الثالثة المجادلة هى طرف النقصان والطائفة الثانية صاحبة الموعظة هى طرف الواسطة[2] .

فعلى الخطيب أن يراعى ذلك التقسيم فى طوائف الناس وعقلياتهم حتى يستطيع أن يأتى لكل قوم بما يناسبهم من البيان والدليل ، فليس ما يخاطب به العلماء يصلح لأن يكون وعظا للعامة من الناس ، وعندما يراعى الخطيب تلك الاعتبارات يستطيع أن يقطع بخطبته الخاصة والعامة ، والجاحد والمعاند ، وأن تكون دعوته مطابقة لمقتضى الحال .

(ب) المناسبة التى سيجعلها موضوعاً لخطبته ، فالمناسبات كثيرة فهناك المناسبات الدينية كخطبة الجمعة والعيدين والمناسبات الاجتماعية كخطبة النكاح وخطب التأبين والعزاء وغير ذلك من المناسبات ، ومن هنا فالواجب على الخطيب أن يراعى المناسبة التى سيتكلم فيها ، فمناسبة العيد غير مناسبة الحزن والمناسبة الدينية غير المناسبة الوطنية والخطيب الجيد هو الذى يفصح عن ذلك فى صدر خطبته[3] .

وخير ما يعين الخطيب فى اختياره الموضوع المناسب للمخاطبين ، أن يعمد إلى قضايا الساعة التى تشغل أذهان الناس ، وتتشكل منها ظروفهم

(١) النحل : ١٢٥ .

(٢) مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازى ج ٥ ص ٥٣٦ .

(٣) البيان والتبيين للجاحظ ج ١ ص ١٢٩ .

فيتخير منها أبرزها وأعمها سيطرة ، ليجعله محور خطبته ودائرة موضوعه وذلك أجدى له ، وأنفع لمستمعيه .

(ج) نفسية المخاطبين فيجب على الخطيب أن يختار موضوعاً مناسباً لنفسية الجماهير المستمعة له ، والناس يختلفون من مكان إلى آخر ، فمستمع المدينة غير مستمع القرية ، ومجتمع العمال يختلف عن مجتمع المثقفين ومن هنا فيجب على الخطيب أن يراعى ذلك فى موضوع خطبته حتى ينجح فى مهمته ، إذ المجتمعات كالأفراد لكل منها نفسيته الخاصة به واستعداداته سواء كانت فطرية أو مكتسبة ، فللمجتمعات الزراعية والريفية نفسية تختلف عن نفسية المجتمعات الصناعية ، والخطيب الناجح هو الذى يستطيع أن يدرس تلك النفسيات المختلفة من خلال تحركه ونشاطه فى المجتمع الذى يعيش فيه ، ومن خلال ذلك يستطيع أن يختار الطريقة الصحيحة لتأدية موضوعه ، كما يستطيع أن يؤثر على العقل الفردى والجمعى[1].

المرحلة الثانية : — إيجاد العناصر وتركيبها : —

وفى هذه المرحلة يجب على الخطيب أن ينظم موضوعه ويجعله فى عناصر مترابطة بحيث لاتخرج هذه العناصر عن موضوع خطبته وأن تكون مسلسلة كحبات العقد لايستغنى بعضها عن البعض الآخر ، بل تكون فى مجموعها عقداً متماسكا فإذا أراد الخطيب مثلا أن يتكلم فى موضوع الاستقامة فلتكن عناصر الموضوع هكذا :

١ — استقامة الإنسان مع الله عز وجل .

٢ — استقامة الإنسان مع نفسه .

(١) أسس علم الاجتماع د/حسن شحاته سعفان ص ٣٨ .

٣ — استقامة الإنسان مع أهله وأسرته .

٤ — استقامة الإنسان مع الناس .

ثم تأتى النتيجة أو الهدف من موضوع خطبته وهو الاستقامة وأثرها فى المجتمع .

والذى يعين الخطيب فى تعيين عناصر موضوعه الرجوع إلى المراجع العلمية والقراءة فيها قراءة مستوعبة ، هذا بالإضافة إلى عرض الفكرة وعناصرها على عقله ، وقد سمى ابن سينا هذه المرحلة بالعمود لأنها الأساس المتين فى الخطبة وعليها المعول الأكبر فى الترتيب والتنسيق ، وعلى الخطيب أن يحدد عناصر خطبته ، ويميز كل عنصر على حدة ، على أن يجعل العناصر كلها تتفق وتدور حول موضوع واحد[1] .

المرحلة الثالثة : — اختيار الأدلة : —

وهذه المرحلة تساعد الخطيب على بيان موضوعه وإفهامه للمستمعين ، حيث أن الدليل هو ما يتوصل به إلى بيان صحة الحكم سلباً أو إيجاباً ، فمصادر الخطبة الدينية أساسها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وكتب الفقه ، وكتب الثقافة الإسلامية عموماً ، وما دار حول ذلك من دراسات واجتهادات العلماء .

إن الخطيب الجيد يستطيع بالعناصر المدعمة بالقرآن الكريم والسنة النبوية أن يحرك القلوب الهامدة ، ويحيى العزائم الميتة ، ويعمر النفوس الخاوية ، بل يشفى صدور قوم مؤمنين .

أيضاً على الخطيب أن يدعم عناصر خطبته بالأدلة التى لها مكانة

(١) قواعد الخطابة د/ أحمد علوش ص ٤٣ .

فى قلوب المستمعين ، وسلطان على أفئدتهم ، وحسن تأثير فى عقولهم ، مثل آثار السلف الصالح ، وأقوال أئمة المسلمين وكبار علمائهم ، وزعماء الإصلاح فيهم ، أما إن تجردت عناصر الخطبة من الأدلة ، فهى كفيلة بجعل عناصرها هشيما تذروه الرياح ، بل بإصابة الخطيب بالفشل الذريع .

يقول الإمام ابن سينا : إن الحجج فى الخطابة تكتسب من المواضيع وهى المصادر التى يمكن الخطيب أن يتخذ منها ما يستدل به على دعواه ، فمن طلب الإقناع وهو لا يعلمها كان كحاطب ليل يسعى على غير هداية ، لا لبخل فى الموضوع بل لنقصان فى الاستعداد[1] .

أيضاً على الخطيب أن يدعم خطبته بالقصص الحق الذى يقوم بعرض تعاليم الإسلام فى صورة عملية حية تحرك الوجدان طمعاً فى النعيم المقيم المعد للطائعين ، ورهباً من العذاب الأليم المعد للعاصين .

المرحلة الرابعة : التعبير الخطابى : —

هذه المرحلة هى نهاية المطاف لإخراج الخطبة من حيز الفكر والتخطيط إلى حيز الأداء والتنفيذ ، ومن هنا يجب على الخطيب أن يعطيها أهمية خاصة وعناية فائقة ، بأن يعد موضوعه ويحضر خطبته حتى يكون كلامه مركزاً ومنظماً ، فيفيد جمهوره ويرضى ضميره ، ويحاول أن يكون الموضوع موضوع الساعة ومشكلة الأسبوع حتى يربط بين الدين والدنيا يفكر فى موضوعها ويرتب عناصرها فى نقاط ، ثم يشرح تلك النقاط مستنداً على القرآن الكريم وسنة الرسول ﷺ ، وأقوال السلف من الأئمة والصالحين وأعمالهم ، ويستخلص النتائج الطيبة التى تناسب الظروف الراهنة والأحوال الطارئة .

(١) الخطابة للشيخ أبو زهرة ص ٣٠ .

وبذلك يشد انتباه المصلين إليه ويجعلهم ينتظرون موعد الخطبة بفارغ الصبر والخطيب الناجح ينظر فيما حوله من الأمور المهمة والأحداث اليومية التى تشغل الناس فى أحاديثهم ، وتدور على ألسنتهم ، ولها آثار بينة بينهم ثم يتخير من هذه الأحداث أجلها وأعظمها ، ويجعلها موضوع خطبته فان كان موضوعه مثلا : التنفير من شرب الخمر يفكر فى الأضرار الصحية والمالية والخلقية والاجتماعية فوق ما أعده الله تعالى من العقاب الأليم لشارب الخمر ، وإن كان موضوعه دعوة إلى عمل نافع ، يفكر فى آثاره الجليلة ومنافعه العظيمة فى الدنيا وما أعده الله فى الآخرة من النعيم لفاعله .

ومن الأفضل للخطيب أن يخلو إلى نفسه قبل الخطبة أو الكلام فيها ، ثم يذهب فى هدوء يتصور نفسه قائماً فى الموقف الذى سيكون فيه ، ثم يشحذ عقله ومواهبه لمواجهة هذا الموقف واحتمالاته ، إن هذا العمل من جهة الخطيب كالرياضى الذى يقوم بأداء التسخين وفك العضلات واللياقة البدنية قبل موعد المباراة وملاقاة الجمهور . كذلك الخطيب بقدر اتقان أساليب الخطابة والاستعداد لها والمران عليها مرانا كافياً يكون النجاح الباهر للخطيب إن شاء الله[1] .

الخطابة الدينية :

الخطابة الدينية إما أن تكون خطبة لصلاة الجمعة أو العيدين أو فى الحج ، فهى خطبة منبرية ، وإما أن تكون فى مجتمع يراد تبصيره بشأن دينى أو إرشاده إلى ما فيه سعادته دنيا وأخرى فهى خطبة عامة ، وهى ضرورية للدعوة الإسلامية لأن الدعوة واجبة التبليغ وهى ليست كائنا

(١) الخطابة فى الإسلام د/ مصلح بيومى ، د/ جمعه الخولى

متحركاً بذاته حتى تصل وحدها إلى قلوب الناس وأفئدتهم ، ولكنها مفهوم معنوى يطبقه مخلوق مكلف بعد أن يدركه ويحيط به (١).

ومن هنا كان لا بد من دعاة يدعون الناس إليها ويردون على خصومها بالحجة والمنطق القويم وعرضها على المستمعين عرضاً حسناً تستمال به القلوب وتقتنع به العقول ، ولن يكون ذلك ألا إذا وجد صاحب اللسان القادر على الإقناع بالحجة والموعظة الحسنة .

تاريخ الخطابة الدينية :

لقد كان لكل أمة من الأمم يوم يحدد دون به بدء الأسبوع ونهايته، وجاءت الأمة الإسلامية وكان لا بد لها من أن تتميز بشخصية متكاملة فى كل ما يهمها فى دنياها وآخرتها ، وكان من فضل الله عز وجل أن هداها إلى يومها الذى يحدد الأسبوع وكان يوم الجمعة .

وحقيقة الخطبة الدينية أنها تشمل كل شئون الحياة ، لأن الدين الإسلامى يقوم على العقيدة والعبادة والمعاملة ، وبه قانون شامل لكل مايقابل الناس فى حياتهم من زراعة وصناعة وبيع وتجارة، ولهذا اشتملت خطب النبى ﷺ على كل ماينفع المسلمين ويحتاجون إليه فى حياتهم ومعادهم فكانت المثل الأعلى الذى يحتذيه الخطيب الدينى الموفق والخطبة الدينية فى ظل الدين الإسلامى ، قد عرفت منذ أقيمت شعائر صلاة الجمعة ومن هنا لا بد أن نتعرف على تاريخها .

(١) علم الخطابة د / أحمد غلوش ص ٣٠

أول جمعة أقيمت فى الإسلام :

قال ابن سيرين : اجتمع أهل المدينة قبل أن يقدم رسول الله ﷺ إليها وقبل أن تنزل الجمعة وهم الذين سموها الجمعة ، ذلك لأن الأنصار قالوا : لليهود يوم يجتمعون فيه كل أسبوع ، وكذا النصارى . فهلم فلنجعل يوما نجتمع ونذكر الله ونصلى ونشكره ، فجعلوه يوم العروبة ، وكانوا يسمون يوم الجمعة ، يوم العروبة ، فاجتمعوا إلى أسعد بن زرارة فصلى بهم ركعتين ، وذكرهم فسموا الجمعة حين اجتمعوا إليه ، وذبح لهم أسعد شاة ، فتغدوا وتعشوا من شاة ، وذلك لقلتهم ، فأنزل الله عز وجل فى ذلك : يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله... (١).

وعن عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال : كنت خرجت مع أبى للجمعة حين ذهب بصره ، فكان إذا سمع الأذان للجمعة ترحم أبى على أسعد بن زرارة واستغفر له وقال : لأنه أول من جمع بنا بالمدينة فى هزم النبيت من حرة بنى بياضة فى نقيع يقال له نقيع الخضمات قال : قلت كم كنتم يومئذ ؟ قال : أربعون رجلا . فهذه أول جمعة أقيمت بالمدينة (٢). والذى صنعه أسعد بن زرارة كان بتوجيه من النبى ﷺ فإن الجمعة فرضت على النبى عليه الصلاة والسلام وهو بمكة قبل الهجرة ، كما أخرجه الطبرانى عن ابن عباس رضى الله عنهما ، فلم يتمكن النبى ﷺ من إقامتها بمكة المكرمة من أجل الكفار وتضييقهم على المسلمين ، فلما هاجر الرسول عليه الصلاة والسلام مع أصحابه إلى المدينة كتب إليهم يأمرهم أن يجمعوا

(١) عمدة القارى شرح صحيح البخارى جـ ٦ ص ١٦١ والآية ٩ من من سورة الجمعة

(٢) السيرة النبوية لابن هشام جـ ٢ ص ٥٨

فجمعوا على نحو ما تقدم ، ولقد صلى بهم أسعد ركعتين لأن الصلاة فرضت أولا ركعتين ركعتين كما روى ذلك عن عائشة رضى الله عنها . وإنما زيدت فى الحضر بعد الهجرة بقليل أو بنحو عام[1] .

أول جمعة صلاها رسول الله ﷺ بالمدينة :

لما هاجر رسول الله ﷺ وصل إلى قباء يوم الأثنين ١٢ ربيع الأول من السنة الأولى للهجرة الموافق ٢٤ سبتمبر سنة ٦٢٢م[2] وأقام بقباء فى بنى عمرو بن عوف ، يوم الأثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس وأسس المسجد ثم خرج يوم الجمعة فأدركته الصلاة فى ديار بنى سالم بن عون فصلاها فى المسجد الذى فى بطن الوادى ، فكانت أول جمعة صلاها عليه الصلاة والسلام بالمدينة[3] .

أول خطبة خطبها الرسول ﷺ :

قال رسول الله ﷺ بعد أن حمد الله وأثنى عليه : « أيها الناس قدموا لأنفسكم تعلمن والله ليصعقن أحدكم ثم ليدعن غنمه ليس لها راع ثم ليقولن له ربه ليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه ، ألم يأتك رسولى فبلغك وأتيتك مالا وأفضت عليك ما قدمت لنفسك فينظر يمينا وشمالا فلا يرى شيئا ثم ينظر قدامه فلا يرى غير جهنم فمن استطاع أن يتقى بوجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل ، ومن لم يجد فبكلمة طيبة فإنها تجزى الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف والسلام عليكم ورحمة الله »[4] .

(١) الخطابة الدينية نظريا وعمليا د/ محمد الشنيوى ص٥١، ٥٢

(٢) تاريخ العالم الإسلامى د/ محمد محمود زيادة ج١ ص١٩٠

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ج٢ ص ١٠٠ باختصار

(٤) زاد المعاد ج١ ص ٩٩

فرضية الجمعة :

أكد الإسلام فرضية الجمعة بقول الله عز وجل : « يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع »[1] .

وقول الرسول ﷺ : « لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين ، وعن حفصة رضى الله عنها أن النبى ﷺ قال : « رواح الجمعة واجب على كل محتلم »[2] .

وعن أبى الجعد الضمرى وله صحبة أن رسول الله ﷺ قال « من ترك ثلاث جمع تهاوناً طبع الله على قلبه »[3] وعن طارق بن شهاب رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « الجمعة حق واجب على كل مسلم فى جماعة إلا أربعة : عبد مملوك أو امرأة أو صبى أو مريض »[4] .

مشروعية الخطبة للجمعة :

عن جابر رضى الله عنه أن النبى ﷺ كان إذا صعد المنبر سلم »[5] .

وفى رواية : كان رسول ﷺ إذا صعد المنبر يوم الجمعة استقبل الناس فقال السلام عليكم » وذلك يدل على مشروعية التسليم من الخطيب على الناس بعد أن يرقى المنبر « وقبل أن يؤذن المؤذن .

ولقد كان الأذان للجمعة على نحو ما روى فى البخارى فعن السائب بن يزيد رضوان الله عليه قال : النداء يوم الجمعة أوله إذا جلس الإمام على المنبر على عهد رسول الله ﷺ وأبى بكر وعمر رضى الله عنهما ، فلما كان

(١) الجمعة ٩

(٢) سنن النسائى

(٣) رواه الخمسة

(٤) رواه أبو داود

(٥) ابن ماجه

عثمان رضى الله عنه وكثر الناس زاد النداء الثالث على الزوراء. ولم يكن للنبى ﷺ مؤذن غير واحد، وفى رواية «فلما كانت خلافة عثمان وكثروا أمر عثمان رضى الله عنه يوم الجمعة بالأذان الثالث فأذن به على الزوراء، فثبت الأمر على ذلك.

ومن الحديثين السابقين نتبين أن عثمان رضى الله عنه زاد الأذان الثالث، أى بالنسبة لأنه مزيد على الأذان والإقامة، وإنما أحدثه لإعلام الناس بدخول وقت الصلاة قياساً على بقية الصلوات والحق الجمعة بها وهكذا نجد أنه كان للجمعة على عهد رسول الله ﷺ أذان واحد بين يدى الخطيب، وفى عهد عثمان رضى الله عنه جعل الأذان الثانى للعلم بدخول الوقت، وكان ذلك بمحضر من الصحابة. ولم ينكر واحد منهم ولا يعقل أن يتواطأوا على ضلالة[1] وكان ذلك الأذان بالزوراء فى السوق ولم يكن بالمسجد وهذا اخلاف ماعليه الناس اليوم ولا يحتج به على عمل الناس فى هذا الصدد.

منزلة الخطيب فى الناس وأثرها :

بعد الحديث عن الخطابة، وأصولها، ومقوماتها، والخطبة الدينية، وما تستلزمه، وعن كيفية اعداد الخطبة الدينية وبالأخص خطبة الجمعة. يقتضينا الحديث أن نتعرف على منزلة الخطيب أو الداعية الناجح، الذى يؤدى واجبه على فهم وبصيرة، بشىء من التوضيح.

والخطيب الناجح المؤثر يحتل مكانة مرموقة عند سامعيه، ويوم أن يثق الناس فى خطيبهم يأتمنونه على أسرارهم الخاصة ويأخذون منه القدوة، الفعلية وأن الخطيب الماهر هو الذى يعايش مجتمعه ويؤثر فيه ويكون مألوفاً فاتحا للجمهور قلبه وبيته.

(١) الخطابة فى الإسلام د/ مصلح بيومى، د/ جمعه الخولى ص٥١، ٥٢

ومن خلال هذه المنزلة للخطيب يجب أن تتوفر فيه من صفات الفضل ما يلى :

١ — أن يكون واثقا بالله تعالى فيما وعد به عباده المخلصين الصادقين قال تعالى : «يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم»[1].

٢ — أن يكون متواضعاً، بعيدا عن العجب قال ﷺ : «ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزّا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»[2].

٣ — أن يكون عالما بما يقول فاهماً له على الوجه الصحيح، لأن الجاهل يفسد أكثر مما يصلح، قال تعالى : «ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع قليل ولهم عذاب أليم»[3].

وقال الحسن البصرى : العامل على غير علم كالسائر على غير طريق، والعامل على غير علم يفسد أكثر مما يصلح».

٤ — أن يكون عاملا بعلمه. وهذه ناحية هامة لا يغفل عنها الداعية إلى الله تعالى، فكم من علماء جهابذة فى العالم لا ينتفع — غالبا — بكلامهم لأنهم فى ناحية وعلمهم فى ناحية أخرى، مما يكون عقبة فى سبيل الاصلاح وهيهات أن ينتفع بعلمهم، لأنهم فقدوا الرشد فى أنفسهم، فكيف يرشدون غيرهم، قال تعالى : «يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون»[4].

(١) سورة محمد : ٧
(٢) رواه مسلم عن أبى هريرة
(٣) النحل ١١٥ — ١١٧
(٤) الصف ٢ — ٣

وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: «رأيت ليلة أسرى بى رجالا تقرض شفاههم بمقاريض من النار فقلت من هؤلاء يا جبريل فقال : الخطباء من أمتك الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون»(١) وقال الحسن البصرى : الواعظ من وعظ الناس بعمله لا بقوله .

ورحم الله من قال :

لاتنه عن خلق وتأتى مثله
عار عليك إذا فعلت عظيم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها
فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يسمع ما تقول ويشتفى
بالقول منك وينفع التعليم

٥ — أن يكون خبيراً بما يدعو إليه ، لأن الدعوة إلى الله تعالى تعليم وتربية ، لا بد فيها من الدراية بأصول القواعد التربوية ، والأحوال النفسية ، والجاهل بهذه الطرق يخفق كثيراً فى مهمته ، فقد يضر من حيث يظن أو يعتقد أنه ينفع(٢) .

ومعنى هذا أن الخطيب يسير فى دعوته إلى الله مسترشدا بهذه الآية الكريمة : « أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن »(٣) .

---

(١) رواه ابن حبان فى صحيحة
(٢) الدين العالمى ومنهج الدعوة إليه الشيخ عطية صقر ١٦٨
(٣) النحل ١٢٥

٦ — أن يكون الخطيب عفيفا غير متطلع يائسا مما عند الناس ، وبهذا يكون سيدا فى قومه محبوبا لديهم ، أما إذا تطلع إلى دنياهم أدى هذا إلى تحقيره وسقوطه فى نظرهم ، فعن سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه أن رجلا قال يارسول الله أوصنى وأوجز فقال : عليك باليأس مما فى أيدى الناس فإنه الغنى ، وإياك والطمع فإنه الفقر الحاضر ، وصل صلاتك وأنت مودع وإياك ومايعتذر منه(١) .

وقال الحسن البصرى : لايزال الرجل كريما على الناس جنى يطمع فى دينارهم فإذا فعل ذلك استخفوا به وكرهوا حديثه وابغضوه.

وقال أعرابى لأهل البصرة : من سيدكم ؟ قالوا الحسن ، قال : بم سادكم ؟ قالوا : إحتاج الناس إلى علمه واستغنى هو عن دينارهم فقال : ما أحسن هذا .

٧ — أن يكون الخطيب قويا فى بيانه ، فصيحا فى لسانه ، ولذلك قال تعالى على لسان سيدنا موسى عليه السلام ، « واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى»(٢) .

وقال عز وجل : « وأخى هارون هو أفصح منى لسانا فأرسله معى ردءا يصدقنى »(٣) .

٨ — أن يكون الخطيب حليما واسع الصدر قال تعالى لإمام الدعاة إلى الله : «ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك»(٤) .

---

(١) رواه الحاكم وصححه .
(٢) طه : ٢٧ ، ٢٨
(٣) القصص : ٣٤
(٤) آل عمران : ١٥٩

٩ — أن يكون الخطيب شجاعا يقول الحق ولو على نفسه، فما بالك إذا كان على غيره مهما كانت قيمته قال ﷺ : «إذا رأيت أمتى تهاب أن تقول للظالم يا ظالم فقد تودع منهم»[1] .

وعن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه: «أوصانى خليلى بخصال من الخير أوصانى أن لا أخاف فى الحق لومة لائم، وأوصانى أن أقول الحق وأن كان مرا»[2] .

١٠ — أن يكون الخطيب وقورا، كبير الهمة، صابرا، ورعا، بعيدا عن الشبهات مخلصا فى دعوته إلى الله تعالى، عالما بأحوال من يدعوهم إلى الله عز وجل[3] .

إن رسالة الخطيب رسالة جليلة وخطيرة، ومهمة شاقة وعظيمة، لأنها تستمد جلالها وعظمتها من تحدث الخطيب عن الله عز وجل وعن رسوله ﷺ، كما تستمد خطورتها ومشقتها من مواجهة الخطيب لمستمعيه ومحاولة حملهم على طريق الهدى والرشاد، إنها وظيفة الرسل وهم صفوة البشر وأعلام الهدى .

ومن هنا فينبغى لكل من يتصدى لاصلاح الناس وتوجيههم إلى مافيه سعادتهم، أن يكون حسن الطريقة، مرضى السيرة، عنوان الفضيلة ومثال الكمال البشرى فى أقواله وأفعاله وسائر أحواله، فالخطيب لو كان متحليا بالآداب والصفات التى ذكرناها لصار ملكا مطاعا يرجع الناس

(١) رواه الحاكم وقال صحيح الاسناد .
(٢) رواه ابن حبان فى صحيحه .
(٣) أنظر فى هذا هداية المرشدين للشيخ على محفوظ ص ١٨ ومابعدها باختصار .

اليه، ويقتدون به، ويهتدون بهديه ويستطيع بحق أن يستولى على القلوب والعقول معا، يوجهها كما يريد، ويتصرف فيها كما يشاء .

أثر الخطابة فى الدعوة الإسلامية :

لقد أمر الله عز وجل رسوله ﷺ بتبليغ الدعوة فقال تعالى : «يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدى القوم الكافرين»[1] وقال تبارك وتعالى : «ما على الرسول إلا البلاغ»[2] .

وكما أمر الله تعالى رسوله ﷺ بالتبليغ أمر المسلمين كذلك بوجوب التبليغ فقال جل فى علاه : «ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون»[3] .

كما قال تعالى : «فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون»[4] .

مما تقدم يتبين لنا أن الدعوة الاسلامية لابد لها من دعاة يدعون الناس اليها ويردون على خصومها بالحجة والبرهان والمنطق القويم وعرضها على المستمعين المضللين أو المنحرفين عرضا حسنا تستمال به الوجدان وتقتنع به العقول والقلوب وان يكون ذلك إلا إذا وجدت الألسنة القوالة القادرة على الاقناع بالحجة والموعظة الحسنة، وكانت الدعوة الاسلامية من أعظم البواعث على انطلاق الألسنة من عقالها فأثارت الخطابة من مكمنها وأغرت وفتحت العقول باحكامها فتفنن خطباء الاسلام فيها واختلبوا الألباب بسحر بيانها[5] .

(١) المائدة : ٦٧ (١) المائدة : ٩٩
(٣) آل عمران : ١٠٤ (٤) التوبة : ١٢٣ .
(٥) الخطابة الدينية د / عبد الغفار عزيز ص ١٧

وإذا نظرنا إلى الدعوة الاسلامية نجد أنها جاءت فى قوم اشتهروا بالفصاحة والبيان والبلاغة ، قوم القول صناعتهم ، والبلاغة جل عنايتهم فكان لابد من مقابلة القول بأبلغ منه ، والكلام بأروع منه ، فكانت الخطابة الأداة الأولى للدعوة الاسلامية ، وكانت السلاح المتين فى الرد على الخصوم ومقارعة الحجة بالحجة .

أن الدعوة الاسلامية كما أحدثت انقلابا لامثيل له فى المجتمع البشرى قد أحدثت فى مجال الخطابة انقلابا خطيرا ، فنبذت على حواشيها خطابة دينية فى صورها المختلفة وأخرى فى السياسة والحكم والحرب والاجتماع وجدل الأحزاب والطوائف كأقوى وأروع ماتكون الخطابة[1] .

ولو نظرنا إلى الرسول ﷺ وهو إمام الدعاة والخطباء نجد أنه بلغ دعوة ربه أتم بلاغ وأكمله ورسم المنهج السليم لأمته من بعده فى تبليغ الدعوة كما بينه الحق سبحانه وتعالى فى قوله : « أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن »[2] .

فكان ﷺ يأتى الناس فى مجامعهم ومجالسهم ومواسمهم ويدعوهم إلى الاسلام بأبلغ القول وأحسن الكلام ولننظر إلى خطبته الموجزة عندما نزل عليه قول الله تعالى : « وأنذر عشيرتك الأقربين »[3] فجمع النبى ﷺ عشيرته وقال لهم : إن الرائد لا يكذب أهله ، والله لو كذبت الناس جميعا ما كذبتكم ، ولو غررت الناس جميعا ماغررتكم ، والله الذى لا إله إلا هو إنى لرسول الله اليكم خاصة وإلى الناس كافة ، والله لتموتن كما تنامون ، ولتبعثن كما تستيقظون ، ولتحاسبن بما تعملون ، ولتجزون بالاحسان إحسانا ، وبالسوء سوءا ، وإنها لجنة أبدا ، أو لنار أبدا[4] .

(١) الخطابة فى صدر الاسلام د/ محمد طاهر درويش حـ ١ ص ١٨١
(٢) النحل : ١٢٥ (٣) الشعراء : ٢١٤
(٤) الخطابة للشيخ أبو زهرة ص ٢٥٣

وكذلك فعل الرسول ﷺ مع رسله الذين كان يرسلهم إلى الملوك والرؤساء يدعوهم إلى الإسلام ، فكان عليه الصلاة والسلام يرسل إليهم من اشتهر بالخطابة والبلاغة وعرف بالفصاحة وقوة الإقناع وكان عليه الصلاة والسلام يكلف القادر على الخطابة أن يقوم بواجب تبليغ الدعوة تجاه الغير بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر .

فالخطابة فى الإسلام مظهر الحياة المتحركة فيه ، الحياة التى تجعل هذا الدين يزحف من قلب إلى قلب ، ويثب من فكر إلى فكر ، وينتقل مع الزمان من جيل إلى جيل ، ومع المكان من قطر إلى قطر[1] .

والخلفاء الراشدون رضى الله عنهم نهجوا منهج الرسول ﷺ فى الخطابة ، واستنوا بسنته ، فبلغت الخطابة فى عهدهم عنفوان شبابها ، فالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة بما اشتملا عليه من أساليب رائعة ومعانى جميلة وعبارات رقيقة أعانهم على الخوض فى الخطابة والتفوق فيها . ولم تكن الخطب فى مجتمعهم تتقيد بوقت معين بل كلما دعت الحاجة إلى القول اجتمعوا فألقيت عليهم الخطبة استثارة أو وعظاً أو تذكيراً أو إعلان أمر من الأمور .

والخطبة وسيلة جيدة للتبليغ وتكون عادة لجمع من الناس قد يعرفهم الداعى أو يعرف بعضهم فقط ويشترط للخطبة الناجحة أن يكون لدى الداعى معنى أو معان معينة يريد بيانها ولفت الأنظار إليها ، ومن المستحسن أن يكون موضوع الخطبة مما له علاقة بأحوال الناس مع ربط ذلك بمعانى العقيدة الإسلامية كأن يكون الذين يخطب فيهم ممن تكثر فيهم العصبية القبلية فيحدثهم عن أضرارها وحكم الإسلام فيها[2] .

(١) مع الله للشيخ محمد الغزالى ص ٣٠٦
(٢) أصول الدعوة د/ عبد الكريم زيدان ص ٤٥٦

ومن هنا كانت أهمية الخطابة للدعوة الإسلامية حتى جعلها الإسلام شعيرة من شعائره .

يقول الشيخ محمد الغزالى :

ودعماً للحق فى أنحاء الجماعة جعل الله الخطابة من شعائر الإسلام .

ففى كل أسبوع يحتشد المسلمون فى المسجد الجامع ليسمعوا داعية إلى الله يذكر به ويعلم دينه .

وفى كل عيد يجتمع الرجال والنساء فى الميادين الرحبة وفى المصليات المحيطة بالقرية ليسمعوا التوجيه المناسب بعد صلاة العيد .

وفى كل موسم جامع للحجيج تلتقى وفود الأمة الإسلامية المترامية الأطراف حول (عرفه) لتستمع إلى خطاب خطير يتناول شئونها ويشرح قضاياها ومبادئها[1] .

وكفى بالخطبة شرفاً أنها شرعة فى الجمعة ومندوبة فى الجماعة ، وماتركها رسول الله ﷺ حتى لحق بالرفيق الأعلى ثم قام بها الخلفاء الراشدون رضى الله عنهم ومن بعدهم خير قيام . ولقد حفظ التاريخ لنا كثيراً من ذلك مما يدل دلالة واضحة على أهمية الخطبة للدعوة وحاجة الدعوة إليها ومن ذلك مثلا :

من خطبة لرسول الله ﷺ إذ قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه « أيها الناس إن لكم معالم فانتهوا إلى معالمكم وإن لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم إن المؤمن بين مخافتين : بين أجل قد مضى لا يدرى ما الله صانع به ، وبين أجل قد بقى لا يدرى ما الله قاض فيه . فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ، ومن دنياه لآخرته ، ومن الشبيبة قبل الكبر ومن الحياة قبل

(١) مع الله للشيخ محمد الغزالى ص ٣٠٧

الموت ، والذى نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار[1] .

إن من ينظر فى هذه الخطبة النبوية يرى الجوانب الكثيرة والشمول الواضح للخطابة الدينية مما يجعلنا نرى ضرورة شمولها للوعظ . وهكذا نستطيع أن نقول إن رسول الله ﷺ جمع مزايا الخطيب الممتاز ، حيث كان يلامس بخطبه عقول الناس وعواطفهم ، ويتخير المناسبات ، ويتكلم فيها ، ولا يكثر منها ، مراعاة لعدم قدرة أصحابه على تحملها .

وعلى الجملة فإن الخطابة ضرورة للدعوة ولا غنى عنها ومن هنا فالواجب علينا أن نقوم بها ونعد لها رجالا قادرين على أدائها الأداء السليم وأن نخلص النية لله رب العالمين ونقصد من ورائها نشر الخير لأمتنا وللإنسانية جمعاء .

والخطيب الحكيم يستطيع بما وهبه الله عز وجل من نور الحكمة وقاطع الحجة وساطع البرهان أن يصحح القلوب وينبه العقول ويطهر النفوس حتى ترجع عن غيها وتعود إلى الاعتدال وتتحلى بالفضائل والكمال ، وتتخلى عن النقائص والرذائل ، وتعيش بنور العلم وحلاوة الإيمان .

ولو نظرنا إلى عصر بنى أمية نجد أن الخلافات بينهم وبين مناوئيهم كانت سبباً من أسباب إنصراف بعض العلماء ، عن خوض المعارك الكلامية ، السياسية أو الحربية ، والإنصراف إلى العبادة والنسك ، وإرشاد الناس ووعظهم ودعوتهم إلى الابتعاد عن هذه الخلافات ، ودعوتهم إلى وحدة الأمة وتماسكها ، وإلى إرشادهم لأمور دينهم ودنياهم

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة ص ٢٣١ دار الكتب المصرية ١٩٢٢م

من غير تعصب لجماعة ، أو الإنضمام إلى طائفة محددة وقد كان دافع هؤلاء ، سيطرة الدين على قلوبهم ونفوسهم ، وبعضهم إنصرف إلى دراسة العقائد والتعمق فى بحثها ، وكون له رأياً فيها دعا إليه وحث عليه ، ومنهم من عكف على مناقشة الخارجين على الإسلام الهادمين لبنائه ، والرد عليهم بتقديم الحجج والأدلة ومن هؤلاء الحسن البصرى وواصل ابن عطاء ، وذلك ولا شك كان سببا من أسباب ظهور الخطابة وداعيها ، وموضوعا من موضوعاتها .

كما أن الفتوحات فى هذا العصر لم تنقطع فوجه الأمويون الجيوش إلى كثير من بلدان العالم ومن الطبيعى أن تحتاج الجيوش إلى خطب تدفع هم الجند ، وتحرضهم على الجهاد فى سبيل الله تعالى ، كذلك التزم الأمويون بنشر دعوة الإسلام فى كل بلاد الدنيا ومن هنا فتحت فى عصر معاوية بلاد فى شمال أفريقيا والسند وبعض أفغانستان ، وفى عهد عبد الملك وإبنه الوليد تم الاستيلاء على شمال أفريقيا والأندلس وامتد السلطان الإسلامى إلى بلاد البنجاب فى الهند ... وكل هذه الحروب تحتاج إلى الخطابة والبيان والحماس[1] .

أما فى العصر العباسى الأول فقد إزدهرت الخطابة الدينية والوعظ الدينى ، وقد شارك . الخلفاء العلماء فى هذا المجال ، وجمعوا بين الولاية والصلاة ، وكان الوعظ الدينى فى هذا العصر ، هدفا يرمى إليه الخطباء ، ومقصداً يقصدونه ، وبالنسبة للخلفاء ، فإنهم كانوا يعتقدون فى أنفسهم أنهم قادة الأمة فى دينهم ودنياهم ، بل كان بعضهم يرى أنهم أقدر على فهم أمور الدين من عامة الناس . ومن أجل ذلك كانوا يضعون أنفسهم موضع المرشدين القادة فى الدين والدنيا ويزعمون أنهم أعلم الناس بأمور الدين ومن ذلك خطبة هارون الرشيد فقد جاء فيها :

(١) أصول الخطابة العربية د / عبد الغفار عزيز ص ١٠١

(عباد الله إنكم لم تخلقوا عبثا ، ولم تتركوا سدى ، حصنوا إيمانكم بالأمانة ، ودينكم بالورع ، وصلاتكم بالزكاة ، فقد جاء فى الخبر أن النبى ﷺ قال : « لا إيمان لمن لا أمانه له ، ولا دين لمن لا عهد له ، ولا صلاة لمن لا زكاة له ، إنكم سفر مجتازون ، وأنتم عن قريب تنقلون ، من دار فناء إلى دار بقاء ، فسارعوا إلى المغفرة بالتوبة ، وإلى الرحمة بالتقوى ، وإلى الهدى بالإنابه ، فإن الله تعالى ذكره ، أوجب رحمته للمتقين ، ومغفرته للتائبين ، وهداه للمنيبين[1] .

وهذا يبين إلى حد كبير أنهم كانوا يهتمون بالوعظ الدينى ، ودعوة الناس إلى التعلق بالآخرة ، وعدم الإفتتان بالدنيا والتعلق بزخارفها الزائلة[2] .

كما يروى الطبرى فى تاريخه أن ابن السماك وهو من أشهر دعاة هذا العصر وقد عرف بأنه واعظ الرشيد ، كان يلقى على الرشيد بعض المواعظ فيبكيه بكاء شديداً ، ومما يؤثر عنه أنه دخل على الرشيد يوماً فقال : عظنى : فقال : يا أمير المؤمنين ، إتق الله وحده لا شريك له واعلم أنك واقف غداً بين يدى الله ربك ، ثم مصروف إلى إحدى منزلتين لا ثالث لهما ، جنة أو نار[3] فبكى هارون الرشيد حتى اخضلت لحيته وعلى كل حال فإننا نستطيع أن نقول إنه رغم الخلل الملحوظ الذى أصاب القيادة فى هذا العصر ، ورغم الإنحراف الواسع الذى عم هذا العهد ، إلا أن العمل للإسلام ظل مستمراً على مستوى الأفراد والجماعات وانطلق الدعاة والمربون والمصلحون يؤدون واجبهم ، حتى أسلم ثلث الهند ، وجمهور

(١) أصول الخطابة العربية د / عبد الغفار عزيز ص ١١٥

(٢) العقد الفريد جـ ٤ ص ١٠٢ لابن عبد ربه .

(٣) تاريخ الطبرى جـ ٦ ص ٥٣٨ .

كبير من أهل الصين ، ولم يؤثر فيهم ما حدث لبعضهم من التعذيب والإضطهاد مثل ما حدث للإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه من الخليفة المأمون العباسى بسبب إمتناع الإمام أحمد بن حنبل عن القول بخلق القرآن وما حدث للإمام مالك رضى الله عنه من قبل الوالى على المدينة جعفر بن سليمان بن على بسبب جرأته على الخلفاء ومن هنا ظلت الخطابة الدينية مزدهرة ، وكان للخطباء دور عظيم فى إرشاد الناس وتوجيههم فى المساجد ، وقد ترك الخطباء أنفسهم على سجيتها ، فى الخطب المنبرية الشاملة لأحوال المجتمع .

أما الوعاظ فكانوا يجلسون لمواعظهم داخل المساجد أو خارجها وكانوا يجلسون أيام الجمع بعد الصلاة فى أيام رمضان ولياليه، ويكون إقبال الناس عليهم بقدر فصاحتهم وقدرتهم على الإقناع واستثارة عواطف الناس وكانوا يتفننون فى إلقاء المواعظ واستدراج الناس إليهم برقة كلامهم وحسن أصواتهم .

وكان هؤلاء الوعاظ يستمدون وعظهم دائما من الذكر الحكيم ، وأحاديث الرسول الكريم ﷺ وأقوال الصحابة رضى الله عنهم ومن سبقوهم من الوعاظ، وقد أشاعوا فى وعظهم الإيمان الشديد بالله عز وجل، والثقة الوليدة بأن ما عند الله تعالى خير وأبقى .

واستمرت الخطابة الدينية فى نموها وازدهارها نظرياً وتطبيقياً ، حتى عصرنا الحاضر ، حيث صارت مادة علمية تدرس على المستوى الجامعى فى كليات أصول الدين والدعوة ، وقسم الإعلام بجامعة الأزهر، وفى معاهد التمثيل تدرس الخطابة تحت عنوان فن الإلقاء بل صارت موضوعات الخطابة أكثر من ذلك فأصبحت مجال بحث لنيل درجة الماجستير ودرجة الدكتوراه ، بل يبحث فى موضوعاتها الباحثون ويكتبون فيها إنتاجاً علمياً يؤهلهم لنيل درجة الإستاذية فى تخصص

الدعوة والثقافة الإسلامية والإعلام العام ويكفى هذا دلالة على رفعة شأن الخطابة وعلو قدرها وأهميتها بالنسبة للدعوة الإسلامية .

عوامل رقى الخطابة الدينية فى العصر الحديث :

من المعلوم أن المنبر هو مكان الرسول صلى الله عليه وسلم وجلالة هذا المكان وقداسته يجب على الخطيب أن يتحلى بكل الصفات التى تزين هذا المكان وترقى به إلى المستوى المطلوب وهذه أهم المقومات التى تؤهل الخطيب إلى ذلك :

١ — على الخطيب أن يهتم بموضوع خطبته من ناحية التحضير ، وأن يقوم التحضير على أسس سليمة وذلك بأن يجمع المادة العلمية الخاصة بموضوع خطبته من مصادرها الأصلية وأن يورد الأدلة من المصادر الدينية الصحيحة ، ولا يعيب الخطيب أن يجلس فى بيته بعض الوقت قبل أوان الخطبة ليحفظ أدلة موضوعه خاصة الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، ولكن العيب كل العيب أن يصعد الخطيب المنبر ثم يطلب الدليل فلا يجده ، ومن هنا كان تحضير الموضوع من الأهمية بمكان .

٢ — أن يلتزم الخطيب بوحدة الموضوع فلا يخرج من موضوع إلى موضوع إلى موضوع ثالث وهكذا ، بل يجعل موضوعه واحداً ذو مقدمة وخاتمة وبينهما موضوعه الذى يتحدث فيه ، فإن الخطيب الذى يخوض فى مواضيع كثيرة يشتت ذهن المستمعين ، وينتقل بهم من واد إلى آخر مما يجعلهم ينفرون من حديثه وسرعان ما ينفضون عنه .

٣ — أن يقسم الخطيب موضوعه إلى عناصر حتى يسهل على المستمع فهم الموضوع وأن يسوق هذه العناصر فى تسلسل منطقى مقبول حتى يصل بالمستمع إلى ثمرة الموضوع ونتيجته بدون ملل ولا كلل .

٤ — أن يعمل الخطيب على إستمالة قلوب الناس دائما، وأن يجمعهم جميعا حوله، وان يستطيع ذلك إلا إذا حدثهم فيما يحتاجون إليه ومن ثم لزم الخطيب أن يلمس قلوب الناس وأحاسيسهم ومشاعرهم فيختار موضوع حديثه فيما يهم الناس، وما أكثر هذه الموضوعات، فهناك من الموضوعات ما يهم أهل الريف ولايحتاج إليه المدينة ومن هنا يجب على الخطيب أن يهتم ويراعى أحوال المجتمع الذى يعيش فيه حتى يصل إلى النجاح والفلاح .

٥ — أن الخطيب هو إمام القوم وواعظهم والآمر لهم بالمعروف والناهى عن المنكر فيجب أن يكون قدوة حسنة لمن يؤمهم وذلك بأن يهتم بمظهره فليس يعيب الخطيب أن يجلس فى بيته بعض الوقت ليصلح من هندامه ومظهره ولكن العيب أن يظهر الخطيب أمام الناس بمظهر لا يليق فيجعل الناس ينفرون منه، إن حسن المظهر مما يكسب الخطيب الإحترام والإكبار ويجعله محل إحترام من المستمعين وهذا لا يكلف الخطيب إلا القليل .

٦ — يجب على الخطيب أن يؤمن ويوقن بأن رسالته هى رسالة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام وأن وظيفته هى أجل الوظائف وأفضلها وأحسنها ويكفيه فضلا وفخراً قول الله تعالى: «ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إننى من المسلمين»[1] إنها العمل الذى يترقى بصاحبه إلى أعلى الدرجات واسمى المراتب لو أدى عمله على أكمل وجه .

٧ — ألا يركن الخطيب إلى الخطابة المقروءة بأن يقرأ على الناس الخطبة فى ورقة، فتلك هى الخطابة الميتة التى تموت قبل أن توجد، فإن الخطيب هو المرآة التى ينظر إليها الناس جميعاً، وهو واجهة القوم والمتحدث

(١) فصلت : ٣٣ .

بلسانهم، فيجب أن يكون على درجة علمية تؤهله إلى أن يتحدث إليهم مشافهة حتى يستطيع أن يستميل قلوبهم نحوه .

٨ — أن يبتعد الخطيب عن الإسرائيليات والقصص المكذوب خاصة فى خطبة الجمعة والعيدين، ويكفى القصص القرآنى وما جاء فى السيرة النبوية وكتب التاريخ الإسلامى، والسنة النبوية، والإعراض نفسه لنفرة الناس عنه فقد أصبح المجتمع الاسلامى، والحمد لله على وعى كبير بعلوم الدين[1] .

ومن هنا فإن نجاح أى عمل وخاصة العمل فى حقل الدعوة إلى الله عز وجل إنما تتركز أساساً على الاخلاص فيه، فعلى الخطيب أن يخلص فى أداء رسالته ابتغاء وجه الله تعالى فإن مهنة الخطابة إنما تلقى على كواهل الرجال، والرجال دائماً قليلون والقليلون هم المخلصون الذين وصفهم الله تبارك وتعالى بقوله: — «من المؤمنون رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلو تبديلا»[2].

هذا وبالله التوفيق

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(١) الخطابة الدينية نظريا وعمليا ص١٤٣ وما بعدها ا.د/ محمد رجب الشتيوى .

(٢) الأحزاب : ٢٣

أهم المراجع

١ ــ القرآن الكريم .
٢ ــ أساس البلاغة ــ للعلامة الزمخشرى .
٣ ــ أصول الدعوة ــ د/عبد الكريم زيدان .
٤ ــ أسس علم الاجتماع ــ د/ حسن شحاته سعفان .
٥ ــ أصول الخطابة العربية ــ د/عبد الغفار عزيز .
٦ ــ البيان والتبيين ــ للجاحظ .
٧ ــ تاريخ الطبرى ــ للإمام ابن جرير الطبرى .
٨ ــ تاريخ الأدب العربى ــ للأستاذ أحمد حسن الزيات .
٩ ــ تاريخ العالم الاسلامى ــ د/محمد محمود زيادة .
١٠ ــ الخطابة ــ للشيخ أبو زهرة .
١١ ــ الخطابة فى صدر الاسلام ــ محمد طاهر درويش .
١٢ ــ الخطابة فى موقف الدعوة ــ د/محمود محمد عمارة .
١٣ ــ الخطابة الدينية ــ د/عبد الغفار عزيز .
١٤ ــ الخطابة فى الاسلام ــ د/مصلح بيومى ، د/جمعة الخولى .
١٥ ــ الخطابة الدينية نظرياً وعملياً ــ د/محمد رجب الشتيوى .
١٦ ــ الدين العالمى ومنهج الدعوة إليه ــ الشيخ عطية صقر .
١٧ ــ زاد المعاد ــ لابن القيم .
١٨ ــ السيرة النبوية ــ لابن هشام .
١٩ ــ سنن النسائى ــ للإمام النسائى .
٢٠ ــ سنن أبى داود ــ للإمام أبى داود .
٢١ ــ صحيح مسلم ــ للإمام مسلم .

٢٢ ــ عمدة القارى شرح صحيح البخارى ــ لبدر الدين العينى .
٢٣ ــ عيون الأخبار ــ لابن قتيبة .
٢٤ ــ العقد الفريد ــ لابن عبد ربه الأندلسى .
٢٥ ــ علم الخطابة ــ د/أحمد غلوش .
٢٦ ــ فن الخطابة ــ للشيخ على محفوظ .
٢٧ ــ فن الخطابة ــ د/أحمد الحوفى .
٢٨ ــ لسان العرب ــ لابن منظور .
٢٩ ــ مختار الصحاح ــ للرازى .
٣٠ ــ المصباح المنير ــ للرافعى .
٣١ ــ المفردات فى غريب القرآن ــ للأصفهانى .
٣٢ ــ مع الله ــ للشيخ محمد الغزالى .
٣٣ ــ هداية المرشدين ــ للشيخ على محفوظ .